مركز البحوث والدراسات

أسس الدعوة إلى اللّه

أ.د. محمد أمحزون

www.albayan.co.uk

أسس الدعوة إلى الله

أ.د. محمد أمحزون

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مكناس، المغرب

أسس الدعوة إلى الله

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ح

مجلة البيان، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أمحزون، محمد سيدي

أسس الدعوة إلى الله / محمد سيدي أمحزون الرياض، ١٤٣٥هـ

٩٤ ص، ١٤×٢١,٥ سم

ردمك: ١-٤٢-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الدعوة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٦١٦/ ١٤٣٥

رقم الإيداع: ١٦١٦/ ١٤٣٥

ردمك: ١-٤٢-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	١١
الفصل الأول: طلب العلم الشرعي	١٧
الفصل الثاني: الحرص على المعرفة القلبية الحية	٢٥
الفصل الثالث: معرفة منهج النظر والاستدلال	٣٣
الفصل الرابع: المعرفة الحقيقية بالواقع واستيعاب علوم العصر	٤٣
الفصل الخامس: قضايا في الواقع الدعوي	٥٧
الخاتمة	٨٣
فهرس المصادر والمراجع	٩١

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لا تشتد حاجة الدعاة المسلمين اليوم إلى شيء كما تشتد حاجتهم إلى المراجعة البناءة لحصاد جهودهم في مجال الدعوة الإسلامية. ذلك أن هذه المرحلة ضرورية اليوم لتصحيح أخطاء التجربة، ولتلافي أوجه القصور في العلم والعمل، وتلافي السلبيات التي تعوق سير العمل الإسلامي، والعمل على توحيد الصفوف على خطة عمل تأخذ في حسابها كل العوامل المؤثرة على سير الدعوة سلباً وإيجاباً، وتنسق بين الإمكانيات والأهداف وتفرق بين الوسائل والغايات، وتعمل على رفع أسباب الاختلاف والفرقة التي يكون سببها: نقص العلم، وقلة الخبرة، وسوء التقدير والفهم، وفرط الثقة أحياناً، والحزبية الضيقة المنغلقة.

ولعل من الوسائل النافعة والناجعة للغيورين على دين الله والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية؛ أن تتضافر جهودهم للتخطيط العلمي والعمل الجاد لعمل نماذج قوية رائدة تمثل شخصية المسلم المتمكن من الأصول الشرعية، المستقيم على نهج الورع والتقوى، الواعي لمتغيرات العصر وثوابته، القادر على تمثيل وتصور الوقائع الجديدة بمنظور الشرع لمواجهة التحديات الحضارية والمآزق الفكرية والنفسية الناجمة عن ضغوط الحضارة الغربية على حياتنا.

نقطة البدء إذن والخطوة الأولى التي يجب أن تسبق أي اختيار: هي الصبر على العلم النظري وتراث السابقين من أهل الذكر والخبرة وخبراتهم.

و كذلك الصبر على العلم بالواقع والفحص الدقيق لاستقراء المناط الحقيقي ليتنزل عليه حكمه الصحيح، والاستعانة في ذلك بأصحاب التخصص وأهل الخبرة، واستخدام المقاييس والمعلومات المنضبطة، كلٌّ في مجاله.

وأخيراً الصبر على نتائج ذلك كله- أياً كانت- وإخضاع هوى النفس لحكم الحق وحده، وليس المسارعة في النتائج ثم البحث عن المقدمات الملائمة لها، فإن هذا النوع من الصبر هو المحك الحقيقي لإخلاص النفس لله ﷻ ورسوله ﷺ.

فالمسلم مطالب إذن بأن يعلم أولاً بالأصول الثابتة والإطار الوحيد الذي لا يملك إنسان-يبتغي النجاة في الدنيا والآخرة- أن يخرج عليه وهو: القرآن و السنة وفقه السلف الصالح-رضي الله عنهم-، وما يؤدي إليه هذا الإطار من مقاصد عامة للشريعة ومصالح معتبرة يدور حولها الاجتهاد في أمور الدين والدنيا. ثم عليه أن يعلم ثانياً بالواقع المحيط به علماً استقرائياً دقيقاً يمكن معه أن يصيب الحكم الشرعي الصحيح المطالب به إزاء هذا الواقع.

إن العمل المطلوب هو بذل أقصى الجهد من أجل تبصير الشباب بحقائق الواقع، وتسليحهم بفهم سليم للإسلام عن طريق العلم الشرعي. وإنه لمما يحز في النفس أن يترك الشباب هكذا، دون خبرة كافية بأساليب العمل، ودون معرفة صحيحة بالتاريخ، ودون وعي كافٍ بأحوال العصر وظروفه وقواه ومتغيراته.

مع العلم بأن المخاطرة التي تهدد الصحوة كثيرة ومتنوعة حيث إنها مستهدفة أصلاً من أعداء أقوياء في الداخل والخارج قد أجمعوا أمرهم على إجهاضها وتصفيتها وضربها بكل الوسائل. فأجهزة الرصد والمراقبة في الغرب وتوابعها في العالم الإسلامي تعكف على دراسة المد الإسلامي، حيث إن هناك سيلاً من الدراسات والتحليلات التي تتناول ظاهرة البعث الإسلامي تتدفق من مختلف الاتجاهات، وإن هذه الدراسات والتحليلات هدفها دفع الحركة الإسلامية دون وعي منها إلى اتجاهات تشتت جهدها، وتستفرغ طاقتها، وتشغلها بمعارك جانبية أو أهداف وهمية، خاصة أن الدوائر الغربية تملك من إمكانيات التوجيه والتحكم شيئاً كثيراً.

ومن ها هنا ينبغي للحركة الإسلامية أن يكون لها عقولها الواعية المدبرة، القادرة على التخطيط الواعي المنظم. على أنه لا يمكن تنمية فقه الأولويات وفقه الموازنات من خلال منهج الفهم والاستدلال في

وضع حضاري شديد التعقيد إلا إذا امتلك الدعاة رؤية شاملة، وعرفوا مواضع أقدامهم من خلال معرفة الشرع ومعرفة الواقع، ومن خلال الانفتاح على الأنشطة الحياتية المختلفة.

وهذا ما سيقوم هذا الكتاب ببيانه من خلال أسس أو معالم نعتقد أن أي حركة أو دعوة تريد أن تسير على الدرب الصحيح لا يسعها إلا أن تأخذها في الحسبان وتعمل على بلورتها في إطار خطة محكمة وشاملة.

الفصل الأول

طلب العلم الشرعي

طلب العلم الشرعي فريضة على كل مسلم؛ لما له من أهمية واعتبار في معرفة المنطلقات والثوابت، وتحديد الأهداف والغايات وتأصيل المنهج الشرعي لئلا تنحرف الدعوة عن أهدافها المرسومة.

فلا بد من التعلم قبل العمل؛ لأن العلم هو الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال. وهذه قاعدة أساسية في منهج السلف يكررها علماء هذا المنهج ويؤكدونها، وتجدها عنواناً بارزاً في صحيح البخاري «باب العلم قبل العمل»[1].

قد يقول قائل: هل نعطل العمل والدعوة والجهاد حتى نتعلم؟ فيقال له: التعلم نفسه عمل، إنه بداية الطريق، ألم تسمع قول النبي ﷺ: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[2].

أما من غلبته العجلة وبدأ بالدعوة بغير علم يخشى عليه عدم الوصول إلى مبتغاه. وبناء على ذلك، فنشر العلم الشرعي الصحيح المبني على الدليل واجب على من يستطيعه، والاستعداد لذلك بطلب العلم واجب آخر.

إن الذين لم يفهموا المنهج الصحيح لقلة علمهم وبضاعتهم أو لا يحاولون فهمه بسبب جهلهم و تعنتهم، إنهم يتعبون الأمة ولا يخدمون

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، ج ١، ص ٢٥.
(٢) المصدر السابق نفسه.

الدعوة، فلماذا لا يتعلمون أولاً؟ علماً بأن المفاهيم الأساسية في العقيدة إذا لم تكن صحيحة وأصابها الانحراف فكل ما يستند إليها سيلحق بها؛ لأنه على فهمها يترتب سائر الأحكام، وانطلاقاً منها توزن الأقوال والأحداث.

فمثلاً لا يمكن عرض الانحرافات الجوهرية التي تعيش اليوم بين المسلمين، مما يتعلق بجوانب الاعتقاد، مع بيان خطرها وتأثيرها، والتحذير منها حتى يكون الداعية ملماً بأركان توحيد الألوهية الثلاثة وهي: إفراد الله بالحكم، وإفراد الله بالولاء، وإفراد الله بالنسك.

فالجاهل بتوحيد الحكم يكون عاجزاً عن طرح قضية الحكم بغير ما أنزل الله، وحكمه الشرعي، وأهمية رد الأمور كلها إلى الله؛ لأن هذا هو مقتضى الإسلام والتسليم، وشرط الإيمان الذي لا يكون إلا به. وبذلك لا يكون مؤهلاً لتربية الأفراد على الولاء لشريعة الإسلام، والحذر من تنقصها أو اعتقاد أفضلية غيرها، أو مساواته لها، أو جواز الحكم بغيرها، بحيث يصبح الإيمان المطلق بشريعة الله قناعة راسخة لدى المخاطبين، حتى لو فرضت عليهم النظم الوضعية الجاهلية.

ومن لا يعرف توحيد الولاء لا يمكنه الحديث عن مولاة الكافرين والمنافقين، وحكمها وتأثيرها على النفوس، والخطر الزاحف بسببها سواء كان على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع، والتركيز على ضرورة

استقلال الأمة المسلمة وتميزها، واستعلائها بإيمانها وشريعتها على الأوضاع والعقائد والنظم والمناهج الجاهلية.

فهذا الحديث وربطه بقضية العقيدة الذي هو من صميمها؛ أصبح مطلباً ملحاً مع لحوق كثير من المنسوبين إلى هذا الدين بمعسكرات الكفر، ومع ربط كثير من الأمم المسلمة مصيرها بالكافرين، ومع الولاء السافر المكشوف الذي يعطيه الحكام لأعداء الإسلام، ومع الانفتاح الرهيب للمسلمين على المجتمعات والشعوب الوثنية والنصرانية وغيرها في الميادين كافة.

ومثل هذا وذاك التركيز على توحيد النسك في البلاد والأماكن التي جهل فيها الناس معنى الألوهية وصرفوا العبادة للشيوخ والأولياء، وقدسوا الأضرحة أكثر من تقديس المساجد.

ومن أجل أن تستقيم أمور الجماعات الإسلامية التي تعاني أمراضاً مزمنة كالتصدع والفرقة و الخلاف والتعصب للحزب أو الجماعة أو الشخص؛ لا بد من مراعاة الأمور التالية:

أولاً: أن يكون عند العضو في الجماعة حد أدنى من العلوم الشرعية تمكنه من معرفة حد الإسلام وحقيقة الإيمان وأصول العقيدة، ومعرفة الحلال من الحرام، والطاعة الشرعية من الطاعة البدعية.

ثانياً: أن تراعى شروط أهل الحل والعقد في اختيار قادة الجماعة، ومراعاة هذه الشروط تعني أن يختار الرجل لعلمه وفضله وصدقه وأمانته، وليس لكونه يحمل شهادة عليا.

ثالثاً: أن يكون المسؤول الأول عن الجماعة عالماً مجتهداً في العلوم الشرعية.

وتحقيقاً لمطلب الاجتهاد فإن الإسلام يحث على إيجاد نخبة متخصصة من أبنائه تفني أعمارها في طلب العلم وتقعيد قواعده وتفريع مسائله وإمداد الأمة بالرأي الشرعي فيما يعرض لها من أحداث متلاحقة وتطور مستمر.

لكن يجب التحذير من الاجتهاد في دين الله دون علم ودون ضوابط أصولية، ودون استكمال المدة اللازمة للمجتهد، فإن العودة إلى ينابيع الشريعة والاستقاء منها دون ضوابط دقيقة وكفاءة عالية يؤدي إلى الفوضى الدينية والفكرية والفقهية، ويملأ مجتمعنا بالمفتين والمجتهدين المتعارضين في أقوالهم واجتهاداتهم، وهو ما يؤجج نيران الفرقة والخلاف بين الأفراد ويولد التناقضات الكبيرة والانقسامات العنيفة بين الجماعات الإسلامية.

وقد بدت فعلاً طلائع هذه الفوضى في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، حيث فقد الشباب الثقة بعلماء بلدانهم لأسباب عدة، فمضوا

إلى القرآن والسنة يسعون إلى فهمهما والاستنباط منهما مباشرة دون معرفة بأصول الفقه ومصطلح الحديث، ودون الغوص في علوم اللغة ومعرفة أسرارها البلاغية والبيانية، فتحول طلاب الجامعات وشباب الدعوة من مختلف التخصصات إلى مفتين وفقهاء مجتهدين، ولا يخفى ما في ذلك من جرأةٍ عظيمة على دين الله تعالى.

وقد كان معظم السلف يتورع عن الفتيا مع امتلاك الأدوات العلمية خوفاً من الخطأ، فكيف بمن لا يمتلك شيئاً من تلك الأدوات، بل لا يمتلك أحياناً سوى الرجوع إلى صحيح البخاري أو الكتب الستة، ويرى نفسه أهلاً للاجتهاد و الترجيح بين الآراء وإصدار الفتاوى. وقد قال الإمام النووي-رحمه الله-:«من رأى المسألة في عشرة كتب مثلاً، لا يجوز له الإفتاء بها لاحتمال أن تلك الكتب كلها ماشية على قول أو طريق ضعيف»[1].

فكيف الحال بعد نشر الصحيح والضعيف والموضوع من الأحاديث، ودون بيان الراجح من الأقوال المتعارضة في التفسير والأخبار والتاريخ، وهو ما يولد مشكلات جديدة وصعوبات فائقة للباحث في التراث الإسلامي الذي قد يبني كلاماً طويلاً على رواية ضعيفة أو موضوعة وهو لا يدري.

(١) ابن حجر الهيثمي : الفتاوى الحديثية ص ٢٠.

إن الفهم القاصر والتشويش الظاهر عند كثير من شباب الدعوة في بلادنا أثر من آثار التلقي المباشر من الكتاب والسنة دون ترشيد من العلماء المتخصصين، ودون إفادة أحياناً من التراث الفقهي الذي يوضح فهوم العلماء والمجتهدين الأفذاذ لهذه الآيات والأحاديث في عصور الاجتهاد.

إن الدراسة المتأنية لواقعنا العلمي تؤكد على ظهور حالات التمزق والتمرد وما يترتب عليها من الانحراف والضلال واتباع الهوى، والتعصب للأفكار، وتقديس الأشخاص، وغير ذلك من الأمراض التي تعصف بالدعوة. ولن يستقر الشباب على النهج الصحيح إلا إذا ظهر علماء عاملون يمتازون بسعة الدائرة العلمية، وعمق الوعي الحضاري، والورع والإخلاص لله تعالى، ليحتضنوا الأجيال الصاعدة، ويوثقوا صلتهم بها ويأخذوا بأيديهم إلى معالم الحق والهدى.

الفصل الثاني:

الحرص على المعرفة القلبية الحية

تسرب إلى أذهان كثير من الناس أن كلمة أهل السنة تعني المذهب الاعتقادي فحسب، ذلك خطأ بين. إن المعرفة الصحيحة بالله التي يحرص عليها أهل السنة ليست هي المعرفة الذهنية الباردة، بل هي المعرفة القلبية الحية التي ينتج عنها الخوف والرجاء والمراقبة والامتثال. فلا يكفي أن يؤمن المرء بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله على مقتضى ما يدين به أهل السنة إيماناً عقلانياً جافاً، بل لا بد من العمل على إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان.

لا بد أن تطرق المعاني الباطنة التي هي جزء من العقيدة والإيمان، أي عمل قلب. وعمل القلب هو الحب والبغض والخوف والرجاء والرهبة والإنابة والخشوع ...

غفل الناس عن هذه المعاني حتى العلماء- إلا من رحم الله- فطال الأمد وقست القلوب، وصار الحديث عن صحة القلب ومرضه وعلاجه وعن المعاني الإيمانية القلبية؛ وقفاً على الصوفية الذين أسرفوا وغالوا حتى عبدوا ذواتهم ومشايخهم، فضلوا وأضلوا.

وقد كان أئمة السلف نماذج حية في صدق اللجوء إلى الله تعالى، وعمق الصلة به، ويقظة الضمير وحساسيته من جراء ذلك، وأوفى الناس حظاً من ذلك صحابة رسول الله ﷺ ثم التابعون لهم بإحسان، ثم العلماء العاملون على مدار القرون. ومن يتأمل سيرهم وأحوالهم يجد من ذلك شيئاً عجيباً.

إن من الواجب حقاً أن نولي أعمال القلوب عناية كبيرة، فهي الأثر العملي المباشر للتصديق بالعقيدة. ولهذا نجد أن الله تعالى بعدما أثنى على المؤمنين بتصديقهم بيوم الدين؛ أتبع ذلك بذكر إشفاقهم من عذاب الله، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج ٢٦- ٢٨].

وجدير بالإشارة أن معالجة الانحراف الظاهر على المستويات كافة لا تستقيم إلا إذا صاحبها معالجة الانحراف الباطني، فما من فساد ظاهر إلا وله رصيده من الفساد الباطني تبعاً للقاعدة الأصولية (فساد الظاهر دليل على فساد الباطن)، ولا يمكن أن يحصل تغير الظاهر إلا بتغير الباطن.

إن توجيه الناس لالتزام الأوامر واجتناب النواهي لا يستقيم إلا إذا صاحبه تربية للضمير وإحياء للمشاعر القلبية الصادقة التي تقف كالحارس اليقظ الساهر الذي يمنع تسلل الضعف والتقصير.

ويعتبر الوازع القلبي ومحاسبة النفس عن طريق إحساس الضمير من أهم ضوابط السلوك في الإسلام. وقد أوضح القرآن الكريم ذلك فقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة ١-٢]. ومعنى النفس اللوامة التي أقسم الله بها لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به وهو النفس اللوامة؛ هي التي تحاسب صاحبها وتلومه، كما

قال الحسن البصري: « إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه»(١).

ولا ريب في أن المحاسبة الدائمة والمراقبة المتصلة تمكن المؤمن من تنقية قلبه وخلاص نفسه من آثار الفتن وتجعله خالصاً من القسوة والأمراض، سليماً مخبتاً منيباً إلى ربه، منقاداً إلى أحكامه، مقبلاً على الطاعات، كارهاً للشبهات، مدبراً عن الشهوات، عملاً بالحديث الشريف الذي رواه حذيفة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ:« تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض»(٢).

فهذا الحديث يبين أن الفتن تلتصق بالقلب المريض مثل التصاق الحصير بجانب النائم، وتتراكم كما تتكون أعواد الحصير عوداً عوداً، فيتشربها وتؤثر فيه، فيمتلئ بالشبهات والشهوات، ويصبح وعاء للأهواء، وتنطمس فيه معالم الحق وأنوار الهدى، لا يميز المعروف من

(١) ابن أبي الدنيا : محاسبة النفس، ص ٢٤.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، ج١، ص ١٦٢.

المنكر، بل المعروف عنده ما وافق أهواءه والمنكر ما خالفها.

إن أمراض القلوب لتعتبر أخطر الأمراض وأشنعها على الإطلاق، وما ذاك إلا لأن القلب هو سيد الأعضاء، وبفساده يحصل الفساد للجميع، وهذا معنى قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

فبصلاح القلب تصلح النيات والمقاصد، وتصلح العين فلا تنظر إلا في مرضات الله ﷻ، وتصلح الأذن فلا تسمع إلا ما يرضي الله ﷻ ويصلح اللسان فلا ينطق ولا ينفلت إلا إلى ما فيه مرضات الله ﷻ، وبالجملة يصلح كل كيان الإنسان ظاهره وباطنه فلا يتحرك إلا بنور الله ﷻ.

ولأجل ذلك يجب أن نولي أعمال القلوب اهتماما خاصاً بوصفها الأصل الأصيل في الأقوال والأفعال. كما ينبغي مراقبة أحوال القلب، ومعرفة ما يعرض له من أمراض خفية وظاهرة كالعجب والرياء والنفاق والحسد والغرور وحب الشهرة والظهور وشهوة الدنيا والركون إليها، وغير ذلك من أمراض القلوب ومساوئها. كما يجب الإسراع في علاج النكت السوداء قبل أن تغلفه فيستحيل علاجه، إذ ما ينبغي للمؤمن أن يركن لنفسه ويستريح لقلبه دون مراجعة ومحاسبة، ودون مراقبة

(١) أخرجه البخاري في جامعه الصحيح، كتاب الإيمان، ج ١، ص ١٩.

وتخويف، فإن القلب عرضة للتقلب، والنفس أمارة بالسوء، وهي مستودع للعيوب والآفات كما قال ابن القيم- رحمه الله-[1].

ولذلك ينبغي دوام المراقبة وعرض النفس على موازين الشرع وإلزامها بالإخلاص ومتابعة السنة، ومراجعة تراجم الصالحين لتقوى المعاني الإيمانية ويزداد اليقين والتقوى. كما ينبغي تعهد القلب بقراءة القرآن وتدبر معانيه، وبذلك يقوى على مواجهة الفتن ومغالبة الأهواء ومقاومة الشبهات والشهوات؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

(١) للتوسع في هذا الموضوع انظر: كتاب مدارج السالكين.

الفصل الثالث:

معرفة منهج النظر والاستدلال

في الاصطلاح اللغوي يقال النهج والمنهج كلها بمعنى واحد. وهي تعني الطريق الواضح[1].

وبمعنى آخر: السبيل الفكري والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم بأدلته وضوابطه.

أما في المصطلح الشرعي فمنهج النظر والاستدلال يعني القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية، وموضوعه دائماً الدليل والحكم. فهو الميزان والضابط للاستنباط الصحيح، ومن خلاله تقدم الحلول والنتائج أو الأحكام الشرعية والفتاوى في التعبير الشرعي.

ولأهمية منهج النظر والاستدلال في تأصيل طرق التعامل مع الواقع ومعرفة كيفية تنزيل النصوص الشرعية على الواقع البشري- وهو الأمر الذي يقتضي فقه الخطاب الشرعي وفقه الواقع في آن واحد- فإنه ينبغي إحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية كلها دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح بعيداً عن عصبية المذاهب وضغط الواقع كذلك.

ولضمان سير منهج التفقه والاستنباط سيراً سليماً بعيداً عن الانحراف أو الفوضى التشريعية؛ فلا بد من صياغة المنهج السليم للفهم

(١) الطاهر الزاوي: مختار القاموس، ص٦٢١.

والاستنباط من خلال استقراء طريقة السلف الصالح -رضوان الله عليهم-.

ولكي تتحرى الجماعات الإسلامية الحق والصواب في اجتهاداتها لا بد لها من النظر في النصوص الشرعية و الالتزام بأصول الاستدلال وضوابطه كما حددها العلماء وطبقوها.

ومن ذلك ما اتفق عليه علماء الأمة في الجملة وهو أن كل حكم تعلق بواقعة معينة؛ فإن إدخال غير هذه الواقعة تحت ذلك الحكم لا بد له من نظر صحيح يقوم عليه اجتهاد المجتهد. ومعنى ذلك أن كل دليل شرعي غير مختص لا بد من الاجتهاد في تطبيقه؛ لأن الله تعالى لم يشرع الأحكام إلا للتطبيق والتنفيذ، وهذا التطبيق له طرق معروفة يسلكها المجتهد، فإذا صحت الطرق صح التطبيق، وإذا كان غير ذلك فالتطبيق خاطئ لا محالة.

ومدار عمل المجتهد على ما يسمى في الأصول(مناط الحكم) وهو الوصف الذي اعتبره الشارع في الدليل وعلق الحكم عليه، أو بعبارة أخرى هو العلة التي يدور الحكم عليها وجوداً وعدماً.

على أن أضرب الاجتهاد في المناط، وهي الطرق التي يسلكها المجتهد لتطبيق الدليل؛ ثلاثة:

أولها : تحقيق المناط:

وهو أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلي، فينظر المجتهد في ثبوته في الأنواع أو الأعيان التي هي آحاد ذلك الكلي.

فعمل المجتهد محصور ها هنا في تطبيق الدليل على محله تطبيقاً صحيحاً. ومثال ذلك : أن الله تعالى حرم الخمر، وفرق بين الزاني المحصن والبكر، وشرط العدل في الشهود. فينظر المجتهد أهذا النوع خمر أم ليس خمراً؟ وهذا الزاني محصن أم بكر؟ وهذا الشاهد عدل أم فاسق؟ وهكذا...

ومثال عدم تحقيق مناط الحكم لو قال أحد إن شارب الشاي يجلد أربعين جلدة واستدل بالأدلة الثابتة في جلد شارب الخمر؛ فهذا اجتهاد خاطئ مردود لأنه وضع الحكم الشرعي في غير محله، فالدليل صحيح لكن لم يتحقق مناط الحكم أي العلة وهي الإسكار؛ فبطل الاستدلال به.

ثانيها : تنقيح المناط:

وحقيقته استبعاد الأوصاف غير المؤثرة في الحكم، أي إلغاء ما لا يصلح للتعليل واعتبار الصالح. وهذا مما وقع فيه الخلاف بحسب النظر الاجتهادي، فقد يستبعد مجتهد ما يعتبره الآخر؛ والعكس، لكن لا خلاف في أن الشارع اعتبر وصفاً معيناً أناط به الحكم، كما لا خلاف في

أن بعض الأوصاف ملغىً إجماعاً.

مثاله: حديث الأعرابي الذي جامع امرأته في رمضان، فحكم الشارع عليه بالكفارة.

فالمؤثر في الكفارة:

إما كونه أعرابياً، فلا كفارة على الأعجمي مثلاً.

وإما كونه جامع امرأته، فلا كفارة على من جامع ملك يمينه مثلاً.

وإما كونه في رمضان، فالكفارة واجبة على كل مفطر متعمد.

فمناط الحكم ها هنا هو الإفطار عمداً، ولذلك وجب استبعاد الوصفين الأولين وعدم اعتبارهما، ومن اعتبر أياً منهما فهو مخطئ، واجتهاده مردود.

ثالثها: تخريج المناط:

وهو إدخال الواقعة تحت حكم نظيرها، وحقيقة كون الفرع يشترك مع الأصل في الوصف الذي علق الشارع عليه الحكم، وهذا ما يسمى القياس؛ فالفرع هو المقيس، والأصل هو المقيس عليه، والمناط هو العلة.

ولتخريج العلة ضوابط كثيرة، أهمها:

١. أن يكون الحكم صالحاً للتعليل، فتخرج التعبديات المحضة.

٢. أن تكون العلة وصفاً منضبطاً مناسباً مطرداً، فلا تعلل بالحكمة لعدم انضباطها. كما لا يصح التعليل في الربا- مثلاً- بالبيوسة أو السيولة لعدم المناسبة لغرض الشارع وهو جلب المصلحة ودرء المفسدة. وكذا لا يصح لمن أوصله اجتهاده إلى أن بعض المكيلات لا يدخلها الربا أن يجعل العلة هي الكيل أو الوزن؛ لأن العلة حينئذ لا تكون مطردة[1].

ولتحري المنهج الصحيح للاستدلال الشرعي لا بد من أمور عدة:

أولاً: التأكد من ثبوت الدليل واقتناع القارئ أو السامع بذلك، وتلافي الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة والواهية؛ لأن من يستدل بالضعيف والموضوع يعد منهجه مرفوضاً من أصله، وإن أصاب في بعض التفصيلات صدفة أو اتفاقاً.

ثانياً: أن يكون الدليل معتبراً بأن يكون نصاً من القرآن والسنة الصحيحة أو إجماعاً أو قياساً أو مصلحة راجحة لا تعارض نصاً من النصوص.

(١) انظر في هذه المسائل: الموافقات للشاطبي ج ٤، ومجموع الفتاوى لابن تيمية، ج ١٩، ومناقشة شبهات المتحالفين مع العلمانيين والمرتدين لمحمد سرور زين العابدين، مجلة السنة عدد٦.

ثالثاً: صحة طرق النظر في الدليل أمر لا بد منه، ولا يكفي صحة الدليل، بل ينبغي تحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه، والتزام النص وطرح التأويل و الإلمام بالناسخ والمنسوخ، ومراعاة الصيغ مع النظر في المقاصد، وتدبر المعاني، ورد المتشابه إلى المحكم، والمبهم إلى الواضح، والعام إلى الخاص، والمطلق إلى المقيد، والجمع بين أطراف الأدلة، وربط الفرعيات الجزئية بقواعدها الكلية، والنظر في مآلات الأفعال، ومراعاة أحوال المخاطبين.. إلى غير ذلك من الأدلة والطرق الصحيحة للفهم والاستدلال.

رابعاً: إذ كان الدليل قاعدة أصولية وجب مراعاة الحدود التي تستعمل فيها هذه القاعدة، وفهم مدلولات ألفاظها فهماً سليماً، فمثلاً: قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»[1]، هي قاعدة كلية بالنسبة لأفرادها أو جزئياتها، ولكنها استثنائية بالنسبة للشريعة عامة، فوضعها موضع القواعد الأصلية بحيث تصبح هذه القواعد هي الاستثنائية انحراف عن المنهج السليم. كما أن لفظ الضرورة مثلاً يجب أن يفهم بضوابطه المعتبرة، فليس كل ما يراه فلان ضرورة يكون هو الضرورة الشرعية.

خامساً: لا بد أن يبقى الاجتهاد محكوماً بأصول الاعتقاد كما وردت في الكتاب والسنة، وبالقيم الضابطة لمسيرة العقل لا يخرج عنها. فالقيم والمبادئ وحي من الله، ومن ها هنا فهي ثوابت وأسس، أما البرامج

(١) انظر: شرح القواعد الفقهية لمصطفى الزرقا.

والوسائل فهي اجتهادات بشرية ومتغيرات في ضوء الواقع وحاجاته، ولذلك فإن الحركة الاجتهادية يجب أن تبقى ضمن إطار القيم الثابتة.

لكن الذي يحدث في الواقع أننا نضع أهدافاً معينة نريد الوصول إليها عاجلاً، ولو كانت هذه الأهداف تستدعي الضغط على المنهج أو القفز عليه أو الانحراف عنه، وحين يحدث ذلك تفقد الدعوة انسجامها الذاتي، كما يهتز التصور النظري الذي تستند إليه، وربما أدى ذلك إلى استعمال وسائل غير مشروعة.

وللشاطبي كلام جامع يعتبر من القواعد الجليلة في هذا الشأن، وهو قـوله «النظر في الأدلة بروح الافتقار لا بنية الاستظهار»[1].

ومعنى القاعدة أن الناظر في النص الشرعي ينبغي عليه الأخذ بالنص والانصياع لحكمه دون أن تكون له نية مبيتة لاقتناص ما يمكنه من نصرة مذهبه أو فكرته.

ولذلك لا يجوز أن نعفي أنفسنا من عمليات المراجعة المطلوبة وهي التأكد من موافقة أساليبنا واجتهاداتنا للمنهج الرباني الذي تعبدنا الله تعالى باتباعه والحركة على هديه.

وبناء على ما سبق ذكره ينبغي للجماعات الإسلامية أن تختط لنفسها

(١) الشاطبي: الموافقات، ج ٣، المسألة ١٣.

منهجاً ثابتاً مضبوطاً تسير عليه في دعوتها حتى لا تظل عرضة لردود الفعل المتناقضة وتخبطات المفتين بلا علم أو القائدين بلا فهم، ولا شك في أنه لا منهج إلا منهج خير القرون (الصحابة والتابعون وتابعو التابعين) في الدعوة والعلم والتطبيق والفهم والاستدلال.

الفصل الرابع

المعرفة الحقيقية بالواقع واستيعاب علوم العصر

- **حاجة الحركات الإسلامية إلى الدراسات الشرعية العميقة للواقع:**

تعيش الحركات الإسلامية اليوم واقعاً مؤسفاً، لا بسبب الحرب الشعواء التي يشنها الأعداء على مختلف أشكالهم، فالإسلام في تاريخه كله لم يلق مهادنة من جانب أعدائه، وإنما التذبذب وعدم الوضوح في التصورات والمنطلقات والأهداف الذي يعيشه كثير من هذه الحركات هو الذي جعل واقعها ومواقفها مؤسفة بل محزنة إلى حد كبير.

أولاً: إن الأعداء حاربوا الحركة الإسلامية منذ أكثر من نصف قرن، ولكن لم تأخذ حربهم شكلاً واحداً، فالحرب اليوم تختلف في كثير من أساليبها عن حربهم بالأمس؛ لأنهم يخططون ويعدون الدراسات، ومن ثم ينوعون أساليب حربهم للإسلام وللحركات الإسلامية. ولكن ماذا فعلت الحركات الإسلامية؟ إنها تقابل هذه الخطط بأسلوب واحد وهو الأساليب القديمة التي واجهت بها أعداءها أول مرة، ولكنها لم تقم بدراسة خطط الأعداء المختلفة ولا أساليبهم الماكرة، كما أنها لم تقم بالدراسات الشرعية الواعية والعميقة للواقع الذي تعيشه، وللمنطلقات الشرعية في التصورات والمواقف.

إن هذا الأمر جعل الأعداء يطورون أساليب حربهم وينجحون فيها، بينما الإسلاميون يجمدون، ومن ثم يقعون- وهم يشعرون أو لا

يشعرون- في الفخ الذي نصبه لهم الأعداء، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ثانياً: ويصاحب ذلك أن الأعداء ضغطوا مادياً وإعلامياً على الحركات السلامية وبأساليب ماكرة ومتنوعة. وهذا جعل أفق الإسلاميين يضيق، وثقتهم بربهم وبدينهم وبشريعتهم تضعف. ومن ثم لأسباب على رأسها: ضعف الإيمان وسوء التربية وقلة العلم الشرعي؛ أصبحت هذه الحركات تتنازل شيئاً فشيئاً عن كثير من مبادئها ومنطلقاتها العقائدية الأساسية، فأصبح أمر العقيدة ليس أساساً، فلا مانع من استخدام الأساليب والطرق الديمقراطية لإقامة الدولة الإسلامية، والاعتراف بالإسلام عالمياً ودولياً لتحقيق بعض المكاسب السياسية. والديمقراطية كما نرى في ضوء الواقع لعبة يتحكم فيها الذي يملك السلطة والمال والإعلام. وقد قال العرب قديماً: الحكم لمن غلب.

ثالثاً: من خلال المحنة القاسية التي يمر بها المسلمون تكوَّن لدى بعض الإسلاميين شعور قوي بأنه لا بد من تقديم خدمة للإسلام وعمل شيء ما، وأن ما لا يدرك جله لا يترك كله، فإذا كان إقامة الدولة الإسلامية متعذراً أو شبه متعذر اليوم؛ فالأولى أن نبحث عن بديل لذلك نخدم به الإسلام، وليكن ذلك ولو بالتحالف مع الأحزاب الليبرالية واليسارية والدخول في البرلمانات أو المشاركة في الحكومات العلمانية وإعلان الولاء لها. مع أنها تعادي الشريعة الإسلامية ولا تقبلها مصدراً للتشريع والحكم.

وبمثل هذه الأساليب قد يعتقد البعض أنهم يقدمون خدمة للإسلام، ولكن بالتنازل عن المبادئ والعقائد الأساسية أو بعضها؛ يقعون في الفخ الذي نصب لهم، وتسقط قيمتهم وثقة الناس بهم، والانحراف لا يقف عند حد، بل لا بد أن تزداد الزاوية انفراجاً كلما ساروا بعيداً عن المنهج الشرعي.

إن تخفيف الشر أمر مطلوب دائماً، ولكن لا يجوز أن يكون على حساب المبادئ والعقيدة، فالإسلاميون وقياداتهم خاصة ينبغي أن يكونوا صامدين صمود الجبال في كل ما يتعلق بعقيدتهم ومبادئهم ومنطلقاتهم الأساسية، وأن لا تغير المحن والشدائد مهما تنوعت واختلفت شيئاً من مواقفهم، وأن لا تحرفهم ولا قيد أنملة عما يوقنون به ويعتقدونه، فهم القدوة للناس في ذلك. فإذا أحس القادة من أنفسهم ضعفاً أو تطاول البلايا والمحن عليهم؛ فعليهم أن يتقوا الله في إسلامهم وفي عقيدتهم وفي شباب الإسلام الذي يقتدي بهم، فلا يكن التغير أو الانحراف على أيديهم، فيفروا من الابتلاء إلى الاحتواء.

رابعاً: من خلال ضغط الواقع كثر الحديث عن«مصلحة الدعوة»، و«الضرورة الشرعية»، وصارت مثل هذه الأمور تقال كثيراً وتبرر بها بعض المواقف، ولكنها لم تقم على الدراسة الشرعية الأصولية التي تحدد ضوابطها وشروطها. وهذا النقص الكبير في الدراسة والتقعيد ليس في

هذه الأمور فحسب، بل في كثير من الجوانب الأساسية. وهذا جعل مواقف كثير من الإسلاميين ليست ثابتة ولا مبنية على أسس واضحة ومدروسة.

إن الحركة الإسلامية المجددة لابد أن تقوم أمورها كلها على الدراسات الشرعية القوية؛ حتى تأمن الانزلاق أو الانحراف في المواقف.

خامساً: وأخيراً من أسباب الانحراف أن موضوع الثقة بالقيادة عند بعض هذه الحركات اتخذ شكل التقديس، وهو ما جعل الفرد يسير أصم وأعمى لا يبحث عن الدليل الشرعي الذي يدين الله به، خاصة في القضايا الكبرى.

إن الثقة بالقيادة والانضباط أمر واجب لكل حزب وجماعة، ولكن أن تتحول هذه الثقة إلى طاعة عمياء في معصية الله، فهذا ما لا يرضاه الإسلام. فينبغي أن ندور مع المنهج والحق حيث دار لا مع الأشخاص.

- **حاجة الحركات الإسلامية إلى استيعاب العلوم الاجتماعية بوصفها آليات ضرورية لفهم الواقع:**

إن فهم الواقع الإنساني عامل بالغ الأهمية في التدين، ولا يقل أهمية عن فهم الدين نفسه، فهما الشرطان المتلازمان في سبيل تحقيق الدين في حياة الناس.

والمشكلة بالنسبة لمسلم اليوم ليست في نص الدين، فقد بذل السلف الصالح جهوداً مضنية لحماية نصوص الدين وتنقيتها، ومن ثم وضع الأصول والقواعد لمعرفة المراد الإلهي حسب الطاقة. فتطورت العلوم التي تخدم هذا المقصد في مجال مناهج التفسير، وعلوم القرآن، ومصطلح الحديث، وأصول الفقه، ومناهج الاستنباط، وعلوم اللغة؛ تطوراً كبيراً.

ولكن المشكلة بالنسبة لأهل الإسلام اليوم هي في عدم فقه الخطاب الشرعي، وتأصيل منهج التعامل معه، وكيفية تنزيله على الواقع البشري، وهو الأمر الذي يقتضي فقه الخطاب وفقه الواقع في آن واحد[1].

ومهما كان الإسلام عظيماً ونفيساً، وإذا لم يتقدم به أهله لمعالجة المشكلات البشرية الواقعية، وتقديم الحل الأفضل والأمثل الذي يغري الناس ويطمحون إليه؛ فسوف لا يكون قد أدى رسالته وحقق مقصده، وآنذاك تقع المسؤولية علينا؛ لأننا لم نأخذ في الحسبان إدراك الواقع المتغير والمعقد بآليات فهم تمنحنا القدرة على بسط الإسلام على حياة الناس وسلوكهم بشرع الله.

وبناءً على أن لكل عصر خصائصه ومميزاته ومستجداته التي يجب أن تعالج في إطار الأصول الكلية والقواعد العامة للدين؛ فإنه ينبغي

(١) للتوسع في هذا الموضوع انظر: عبد المجيد النجار: في فقه التدين فهمًا وتنزيلًا.

التعامل مع الصورة الجديدة للواقع بظروفه وشروطه، والإفادة مما يقدمه العصر من أدوات ووسائل وتقنيات تغني التجربة الإسلامية.

على أن أدوات الرصد والتحليل هذه تتمثل أساساً في العلوم الإنسانية، وهي: علم النفس، والاجتماع، والاقتصاد، والإحصاء، والتاريخ، والتربية.

وتعد هذه العلوم آليات ضرورية لفهم الواقع، وإدراك أبعاد الإنسان، والتعرف إلى مفاتيح شخصيته وطرق تفكيره، والأسباب الحقيقية الكامنة وراء مشكلاته، وهو محل الحكم الشرعي.

فهذه العلوم بطرق بحثها وقوانينها أدوات ضرورية لكشف الواقع النفسي للفرد وللأمة فيما تشتمل عليه من مركبات أو أمراض أو عوائق، يكون من الضروري أخذها في الحسبان حينما يراد إحكام الدين في واقع الحياة الفردية والاجتماعية، وكذلك الأمر بالنسبة للتركيبة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيما تعانيه من مشاكل، وفيما ترسب فيها من سلبيات عبر التاريخ أو عبر التفاعل مع الحضارات والثقافات الأخرى. وهكذا فإن علوم الاجتماع والنفس والاقتصاد والإحصاء والتاريخ أدوات ضرورية في الكشف عن هذه المعطيات التي لا غنى عنها لفهم الواقع حتى تتم عملية الموافقة والتكيف بين الحكم الشرعي ومحله بدقة.

ولا مناص من القول أن آليات العلوم الاجتماعية تطورت تطوراً

كبيراً على أيدي الغربيين، وبلغت شأواً بعيداً في معرفة الإنسان ومحيطه الاجتماعي والاقتصادي وكينونته النفسية وعقليته الثقافية وخلفيته التاريخية، ولذلك فإن مراكز البحوث والدراسات في الغرب هي التي تقدم الخرائط الفكرية ومناهج العمل والتعامل للمعاهد والجامعات، ومراكز صنع القرار، ومؤسسات التنصير والتجسس ودوائر الاستخبارات وغير ذلك.... فهي في استقرائها لواقع الشعوب والأمم، ومسحها الاجتماعي لتجاربها وثقافتها، وتوفير الإمكانيات لأهل الخبرة في العلوم الإنسانية لسبر العقائد والأفكار والثقافات المتنوعة، ومن ثم بتحليلها للمعلومات؛ توفر الحقائق الدقيقة والمطلوبة التي تحتاج إليها مؤسسات الدولة على اختلاف أنواعها.

ويمكن القول تبعاً لذلك أن الغربيين أفادوا من رصد حركة الدعوة ووضع استراتيجيات المواجهة ضدها على المستوى السياسي والثقافي والأمني أكثر من أصحاب الدعوة أنفسهم الذين عجزوا حتى الآن عن اغتنام الفرصة وحسن الإفادة منها. والحق أن الدارسين المسلمين لم يهتموا بهذا الجانب رغم خطورته وأهميته اهتمامهم بفقه الدين، فجاءت اجتهاداتهم اجتهادات نظرية ومجردة. لذلك يكون من لوازم الاجتهاد اليوم الاستيعاب المعرفي الشامل للواقع الإنساني بالمعايشة والنزول إلى الساحة، والتزود قبل ذلك بآليات فهم الواقع التي توقفت مع الأسف في حياة المسلمين منذ زمن بعيد.

علماً بأن جهود القدامى في هذا الصدد أزكى وأنفع من جهود المعاصرين، فقد كانت المدارس الفقهية في طور تأسيسها خاصة تقوم على فهم أحوال المسلمين على عهدها، ويتقدم منظروها في إرساء مبادئهم الفقهية أصولاً وفروعاً بقدر ما يتبينون من أوضاع المسلمين الواقعية في عاداتهم وأعرافهم ومستجدات ما حدث من مشاكلهم. ومن شواهد ذلك ما كان للإمام الشافعي من مذهب قديم لما كان بالعراق، وآخر جديد لما انتقل إلى مصر.

إن الدعوة الإسلامية اليوم أصبحت مُسَلمةٌ لا تحتمل شكاً، حيث تعاظم المد الإسلامي إلى آفاق لم تكن بالحسبان، لكن حركة الاجتهاد لترشيد تدين هذا المد ووضع البرامج والأوعية الشرعية لحركته لم تكن بالمستوى المطلوب، ولا الموازي لحركة المد الإسلامي، ذلك أن كثيراً من الشباب تجاوبوا مع الصحوة لكن لم يبصروا بالواقع وكيفية التعامل معه وتقويمه بنهج الشرع.

ومن ها هنا يمكن القول أن القاعدة الإسلامية تأسست، ولكن افتقدت القيادة الواعية الرشيدة الفقهية، فلحقت نظراً لذلك الحركة الإسلامية إصابات بالغة ليست كلها بسبب أعدائها، وهو ما يقتضي إعادة النظر في عملية تقويم الواقع من جديد.

وتقويم الواقع بالوسائل والأساليب العصرية المناسبة هو المشكلة

التي يعانيها الواقع الإسلامي اليوم، وهي مؤشر مؤرق بسبب عدم التنسيق بين العلماء المجتهدين في الشريعة، وعلماء الاجتماع، وعلماء التربية، وعلماء التخطيط، وفقهاء علم النفس والاقتصاد، وفقهاء الحضارة عامة الذين يشكلون عقل الأمة، ويعرفون كيف ينهلون من هذا الدين العظيم لمصلحة الأمة في واقعها المعاصر.

ومن ها هنا فواجب الجماعات والحركات الإسلامية اليوم يجب أن يتضمن:

١. التركيز في معارفنا على الدراسات التاريخية والنفسية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية، وتوجيه الشباب إلى التخصص في هذه المجالات، لنتمكن من استجلاء أكبر عدد ممكن من سنن الله تعالى في الأنفس والمجتمعات.

٢. تربية الشباب على التفكير السنني ليحل محل التفكير العاطفي الحماسي غير المدروس.

٣. بلورة مناهج للعمل الدعوي تتناسب مع تلك السنن في أساليبها وأدواتها.

ومعنى ذلك: إذا كانت السنن قوانين طبيعية واجتماعية صارمة تتسم بالاطراد والشمول والثبات؛ فينبغي أن تكون الأساليب والأدوات

الموظفة في مناهج العمل الدعوي من حيث الأداء والدقة والضبط تتناسب مع ذلك.

٤. محاولة القيام بتقويم سنني للأحداث الكبرى في تاريخنا والمعالم البارزة في واقعنا المعاش.

٥. القيام بدراسات علمية مستقبلية تعتمد على ما فقهناه من سنن الله في حركة الفرد والمجتمع[١].

فهناك اليوم حركة محمومة في الغرب لدراسة المستقبل، حتى صار لديهم علم اسمه «علم المستقبل». وهم لخبرتهم الحسنة بالواقع يستطيعون مد البصر نحو المستقبل، في المجالات التقنية والتنموية المادية بصورة خاصة. لكن لاعتقادهم بأن العلم التجريبي هو الذي يكيف سلوك البشر وليس الدين؛ فإن كثيراً من توقعاتهم سوف تكون مخيبة للآمال، لماذا؟ لأن وظيفة الإنسان في الحياة هي الالتزام بشرع الله والقيام بإعمار الأرض، والقرآن الكريم يحدثنا أن هلاك الأمم الماضية لم يكن أبداً بسبب القصور العمراني، وإنما بسبب التقصير في جانب العبودية لله تعالى، والانحراف عن منهجه. وهذا ما لا يستطيع الغربيون اليوم فهمه، ومن ثم فإن كثيراً من دراسات المستقبل لديهم سيظل جهاداً في غير عدو. بخلاف المسلم فإنه يأخذ في الحسبان كل العوامل المادية والمعنوية المؤثرة

(١) انظر كتاب المؤلف: السنن الاجتماعية في القرآن الكريم وعملها في الأمم والدول.

في الحياة البشـرية، ومن ثم يحسن التعامل مع الواقع من خلال النظرة إلى المستقبل[1].

٦. الانتقال بالدعوة من مرحلة المبادئ إلى مرحلة البرامج، فيقدم المشـروع الحضاري الإسلامي الشامل الذي يكون بديلاً للمشروع العلماني.

٧. التنسيق بين العاملين في شتى التخصصات من علوم شرعية وإنسانية لإجراء الدراسات والبحوث العلمية والميدانية الكفيلة بتقويم نشاط الدعوة، وإيجاد البرامج والخطط المناسبة لتوجيه الأعمال وتقسيمها إلى كيانات متنوعة النشاط ذات شكل مؤسساتي، يجري التنسيق بين أعمالها عبر لجان متخصصة.

(١) عبد الكريم بكار: ولن تجد لسنة الله تحويلًا، مجلة البيان، العدد٥٦، ص ١١.

الفصل الخامس:
قضايا في الواقع الدعوي

- **ترتيب الأولويات وفق تصور عام وسليم:**

قد يسير الإنسان أحياناً في طريق يخيل إليه أنه واضح مستقيم، فلا يشعر بحاجة إلى وقفة التأمل والمراجعة، فربما زلت به القدم فانحرف خطوة تتلوها خطوة حتى يرى نفسه بعيداً عما يريد.

وربما خطا إنسان آخر خطوات في وضع معين وظرف معين سواء كان ذلك بالنسبة له أو بالنسبة للمحيط حوله، فيتغير هذا وذاك وهو لا يشعر، فيجد نفسه فجأة أمام مأزق. فمن ذلك مثلاً أن ينشأ تجمع لمعالجة انحراف اجتماعي أو سياسي معين أو استجابة لظرف خاص من هذا القبيل فتؤثر هذه النشأة حتى تصبغه بصبغة خاصة، لعله لو أعاد النظر فيها من جديد لم يرضاها إجمالاً.

ولهذا فإن إعادة ترتيب الأولويات وتقويم المناهج انطلاقاً من شرع الله ودينه؛ مطلب ضروري لكل داعية أو حركة. وهكذا تقود المراجعة إلى وضع الأمور في إطارها الصحيح، وعدم إغفال شيء لمصلحة شيء آخر.

إن عدم وضوح الأولويات في الذهن وعدم ترجمتها إلى منهج واضح المعالم يتسبب دائماً في اضطراب التصورات، وبتداخل الأهداف بالوسائل، واختلاط المراحل، ونسيان الغاية الأهم في سبيل تحقيق مصالح جزئية ضيقة، أو الانسياق وراء أهداف مرحلية بعيدة عن المسار الأصلي نحو الأهداف النهائية الكبرى المرجوة.

ومن أجل ذلك ينبغي أن يقدم الأصل على الفرع، والفرض على السنة، والأهم على المهم، حسب منهج ترتيب الأولويات. لكن فئة من الدعاة في هذا العصر وقفت على أحاديث نبوية في أمور تتعلق بالآداب فتشددوا بها مما أنساهم الثوابت، وتمسكوا بالنوافل أكثر من الفرائض، وعنوا بالجزئيات أكثر من الكليات.

ومن ثم يجب الدعوة إلى الالتزام بالأصول والفرائض أولاً، وتعريف الناس بحد الإسلام وحقيقة الإيمان، وترسيخ الإيمان في قلوبهم وما يترتب على ذلك من خشية الله ومراقبته وامتثال أوامره، ثم بعد ذلك يشرع في الدعوة إلى المندوبات والمستحبات التي ترفع من درجات المسلم وتقربه إلى الله تعالى، وهي باب واسع للارتقاء والصعود لا يوصد ولا ينتهي.

وقد غفل عن هذا التدرج في الأولويات أولئك الدعاة وقضوا أوقاتهم في التركيز أثناء دعوتهم على السنن والجزئيات لعدم معرفتهم حدود الشريعة ومقاصدها العامة، فأعرض عنهم كثير من الشباب والناس.

وهذه الفئة المتحمسة لدينها تحتاج إلى الموازين الدقيقة لوضع أحكام الشريعة ومقاصد الإسلام في الدوائر الثلاث وهي: الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات، فلا يقوم أحد الليل ثم ينام عن صلاة

الفجر في المسجد، ولا يأكل المال لا يعرف حلاله من حرامه ثم يتشدد في الآداب وبعض السنن، بل لا بد من التدرج في التطبيق من الضروري إلى الحاجي إلى التحسيني، ومن الفرائض إلى النوافل والمندوبات.

وفئة أخرى تساهلت في معرفة عرى الإيمان وأركان التوحيد، فرأت هذه العرى والأركان فروعاً، بينما هي أصول وثوابت، فتساهلت في قضيت الحكم بما أنزل الله، وفي قضية الولاء والبراء، من منطلق هذه الرؤية، فلم تحقق شيئاً يذكر في وقف الفساد السياسي والمالي والإداري والأخلاقي، وتنفيذ برامج الإصلاح التشريعي والقضائي والاقتصادي رغم مشاركتها في الحكومات العلمانية ودخولها في المجالس النيابية؛ لأن الأنظمة الحاكمة التي تهيمن على «مركز صنع القرار» لم تسمح لهم بشيء من ذلك إلا في نطاق ضيق جداً، والله المستعان.

- **المعالجة العملية:**

لم يعد في الوقت الحالي كافياً طرح المبادئ وحدها، فما عاد كافياً ترديد لنحو لا بد من رفع المستوى الخلقي لدى الفرد، أو لا بد لنشر الدعوة بين الناس، بل الداعية مطالب بأكثر من هذا، مطالب ببيان الإمكانيات المتاحة ثم بيان المنهج والخطط والأدوات التي يمكن استخدامها في الاستفادة من تلك الإمكانيات، وذلك لأن تعقد الأشياء وتشابكها في هذا العصر يحتاج إلى نوع مكافئ من تعقد الفاعلية على مستوى الخطط

والأساليب والأدوات.

وهذا يستدعي ابتداء وجوب تحديد الأهداف القريبة والبعيدة والوسائل الشرعية الموصلة إليها، ووجوب تحديد المخاطر والعقبات القريبة والبعيدة والوسائل الواقية منها.

- **صرف الهم إلى العمل الحاضر:**

إذا تأملنا الواقع الإسلامي نجد الإخلال بهذه القاعدة في العمل الحاضر كثيراً وواضحاً، فتجد من يتحدث عن أمور من مستقبل الدعوة وخططها لم يحن وقتها بعد، وربما أخذ ذلك من وقته شيئاً كثيراً، يتحدث عن قيام الدولة الإسلامية كيف يكون، وكيف التعامل معها في الواقع؟ بينما الأمور المطلوبة المهمة والتي تكون طريقاً إلى الخطط المستقبلية لا يلتفت إليها.

ومن سنن الاجتماع أن الإنسان إذا اهتم بعمله الحاضر وأقبل عليه بعزيمة قوية استطاع أن ينجز فيه شيئاً كثيراً أو ينجزه في فترة زمنية قصيرة، بينما إذا كانت له تطلعات مستقبلية ودخل في جدل حول ماذا في المستقبل؛ شغلته تلك التطلعات عن عمله الحاضر وأقبل عليه بتردد وفتور همة.

فكما أن عمل اليوم لا يؤجل إلى غد، فكذلك عمل الغد لا يقدم على عمل اليوم، وهذه القاعدة دعا إليها الإسلام؛ لأنها من أعظم ما

يكون سبباً في رقي الناس إلى خير الدين والدنيا.

- **النظر في مآلات الأفعال:**

كذلك من قضايا الواقع التي ينبغي الحرص عليها النظر في مآلات الأفعال لنعرف متى نقدم؟ ومتى نحجم؟ متى نصرح؟ ومتى نلمح؟ متى نواجه؟ ومتى نكون وراء الستار؟ وذلك حتى لا نكون عبئاً على الحركة الإسلامية أو ثغرة تؤتى الحركة من قبلها.

يقول ابن تيمية- رحمه الله-: «مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم»[1].

وإذا كان الفعل الجائز سيؤدي إلى عمل غير جائز، أي إلى مآل غير مشروع فينبغي تركه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وكنهي المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد؛ لأن مصلحة حفظ نفوسهم ودينهم في تلك المرحلة راجحة على مصلحة الانتصار والمواجهة.

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٣، ص٥.

وروى عن علي- رضي الله عنه- قوله:«حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله»[1].

وفي المقابل هناك مصالح شرعية ينبغي إقامتها وإن عرض في طريقها بعض المناكر كطلب العلم وإن كان في طريقه مناكر تسمع وترى، وكشهود الجنائز وإقامة وظائف شرعية إذا لم يقدر على إقامتها إلا بمشاهدة ما لا يرضى. وإجمال ما ساقه الإمام الشاطبي في هذا الصدد هو أن نعرض أي مسألة في الواقع على الشريعة، فإن صحت في ميزانها فينظر في مآلها بالنسبة إلى الوقت وحال الناس، فإن كان ذكرها لن يؤدي إلى مفسدة وقبلتها العقول فلتعرض على عامة الناس، وإن كانت غير لائقة بالعموم فلتعرض على الخصوص، وإن لم يكن لها هذا المساغ فالسكوت عنها أولى وفق مصلحة الشرعية والعقلية[2].

- **التجديد في الوسائل:**

من الملاحظ أن الناس في هذا العصر أصبحوا تواقين إلى الجديد في كل شيء، وصاروا يشعرون بجمود من لا يواكبهم في ذلك وقصوره، وليس في التجديد ما يذم إذا تم بالمحافظة على الأصول والثوابت.

وللتأثير على الناس بشكل فعال وجذبهم إلى الإسلام ينبغي التجديد

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، ج١، ص٤١.
(٢) الشاطبي: الموافقات، ج ٤، ص٩١.

في الأساليب والوسائل التي تعرض بأشكال تنسجم مع روح العصر.

- **امتلاك لغة العصر:**

في العالم اليوم ما يسمى بثورة المعلومات وهو ما يفرض على المثقف المسلم أن يرسم لنفسه خطة تثقيفية تفسح له المجال للقراءة الواسعة في شتى أنواع المطبوعات حتى يتمكن من الإلمام بما يجري في الساحة الفكرية. فقد تمخض عن تلاطم الأفكار والثقافات المختلفة قناعات ومفاهيم عند الناس تشكل - من ثم - مفردات التركيب الذهني لديهم. ولذلك فإن الداعية مطالب بتحسس التركيب الذهني السائد في عصره حتى يخاطب الناس بلسانهم.

والمشكلة الكبرى في عزوف كثير من شباب الدعوة عن القراءة رغم أننا أمة «اقرأ»، وهو ما خلق نوعاً من الخلخلة الثقافية في ساحتنا الفكرية، وجعل كثيراً من الشباب عاجزين عن فهم لغة العصر.

ولا بد لمن يريد أن يسير في طريق الانفتاح الثقافي من ثقافة شرعية أساسية تمكنه من تحديد الثوابت التي أكبر فضائلها دوامها واستقرارها حتى لا ينجرف مع نتاج المدارس والتيارات التي يقرأ لها.

كما لا بد له من محاولة امتلاك منهج في التفكير يستند إلى وعي صحيح بأحداث الماضي ووعي جيد لظروف الحاضر حتى يتمكن من

امتلاك رؤية واضحة لكيفية عمل سنن الله في الأنفس والآفاق.

لكن لا بد قبل الانهماك في القراءة من انتقاء ما نقرأ، فلنقرأ لأولئك الذين يقدرون مسؤولية الكلمة، والذين لا يدفعون بكتابهم إلى المطبعة إلا بعد الاعتقاد بأنه يشكل إضافة جديدة إلى الفكر الإنساني.

إن مهمة المسلم أن يتكيف وينسجم مع عصره بالقدر الذي لا يخل بمبادئه وقيمه، ويكون مؤثراً لا متأثراً، وأن يكون له دور في صياغة لغة العصر.

ومن خصائص لغة العصر اعتماد الإحصاء بدلاً عن الحجج والأدلة العقلية التي يمكن تسميتها بفن الجدل، والتي كانت تستعمل في الماضي لسد الثغرات التي يتركها الاستقراء الناقص للأحداث والأفكار. أما اليوم فقد بدأت قناعات الناس تنحو منحى لغة الأرقام لاستفتائها والبناء عليها، وهذه نقطة إيجابية إذا أحسن الدعاة التعامل معها. فعلى سبيل المثال: فإن تقديم نماذج واقعية ذات أرقام محددة على ما يمكن أن ينتج الأمن والرفاه نتيجة تطبيق الحدود والنظام الاقتصادي الإسلامي؛ أجدى وأنجع بكثير من سرد مجلدات من العلل والحجج العقلية التي تشرح فوائد الالتزام بالإسلام أو التي توضح سلبيات الربا وتطبيق القوانين الوضعية.

- **اعتماد الدعوة إلى الموارد الثابتة:**

إن القوة المادية كما قيل عصب الحياة الدنيا وقوامها، والضعيف فيها على مر العصور مقهور مسحوق لا يحسب له حساب إلا في ظل شرع الله حين يحكم. وليس معنى هذا أن نجعل الدعوة شركة تجارية، لكنه ينبغي الاعتماد على الذات بموارد ثابتة. وهذا من القوة التي أمرنا الله بإعدادها لمواجهة الأعداء ونشر الدين، والاستغناء عن مد يد الاستجداء، وهو ما يوفر للدعوة حرية التحرك، واتخاذ القرار دون ضغوط كابحة للنشاط، إضافة إلى ما توفره القوة المادية للدعوة من ثقل سياسي واجتماعي هي بأمس الحاجة إليه. فلننظر على سبيل المثال إلى المنظمات الصهيونية والنصرانية في العالم وما تملكه من إمكانيات ضخمة وفرت لها نوعاً من السيطرة على محاور ثلاثة مهمة هي (المال والتقنية والإعلام) حتى أصبحت ذات نفوذ مؤثر في مجرى الأحداث والقرارات السياسية والداخلية والخارجية للدول التي تعمل بها، إضافة إلى أنشطتها وبرامجها الهائلة، حتى وصفت بالدول الخفية لعظم قوتها ونفوذها. ولم يكن ليحصل لها هذا النفوذ والتمكن لولا ما تملكه من إمكانيات وتنظيم عملي.

ولا شك في أن الدعوة بوضعها الراهن بعيدة عن اتباع هذا المسلك بشكل جاد، فهي فقيرة الموارد الثابتة، تعتمد على تبرعات الأخيار

المتذبذبة بشكل يفقدها القدرة على وضع الموازنة والتخطيط للبرامج المستقبلية، إضافة إلى ما تعانيه من ضعف البناء التنظيمي الذي يوحد الجهود ويستغل الطاقات لاعتمادها على الجهود الفردية المبعثرة، باستثناء بعض الجمعيات الخيرية ذات الطابع الإغاثي.

وهذا يكشف الحاجة الملحة إلى تقويم نشاط الدعوة المالي وإيجاد المشاريع الاستثمارية الكفيلة بمد الدعوة بالإمكانيات التي تتيح توجيه الأعمال المختلفة.

- **التنبه إلى خطط الأعداء:**

إن أعداء الإسلام في الداخل والخارج يقومون دوماً برصد الأفكار الفاعلة التي تحاول إيقاظ الأمة من سباتها، لكي يقضوا عليها في مهدها أو يحتووها قبل أن تصل إلى جمهور الأمة فتصحح وجهتها، ليبقى هذا الجمهور إذا اجتمع أن يجتمع على أساس العاطفة وتحت سلطانها، وليس على أساس الفكرة والمبدأ.

ولذلك ينبغي أن يتفطن الدعاة إلى الأساليب والخطط التي ينتهجها الأعداء لشل حركة الأفكار التي تساهم في نشر الوعي الصحيح بين المسلمين. فوسائلهم تتنوع حسب الظروف مع المحافظة على المبدأ الأساسي وهو تحطيم الفكرة أو شلُّها.

فتارة يحاولون تحطيم الفكرة الطيبة عن طريق تشويه صاحبها إلى أن يصبح اسم صاحب الفكرة كافياً في النفور منها ومن الكتاب الذي يضمها، وعدم قراءته من كثير من الناس الذين يحكمون على فكرة معينة أو كتاب معين وفق انعكاسات حدثت تجاه صاحبها، وليس من خلال جوهر الفكرة وما فيها من برهان.

وتارة يستخدمون طريقة الهتافات والشعارات، وهم في هذه الطريقة يرتكزون على ميل أفراد الحركة الإسلامية إلى السهولة فيصوغون الفكرة في مجموعة من الشعارات والهتافات، فيتحول الأفراد عن مشقة البناء إلى سهولة الشعارات والهتافات.

وفي أحيان أخرى يستخدم الأعداء طريقة التشويش عن طريق إضافة مجموعة من الأفكار الثانوية إلى الفكرة الأصلية بحيث تضعف هذه الأفكار الثانوية سلطان الفكرة الأصلية على العقول.

وتارة أخرى يستخدم الأعداء أسلوب إثارة الشبهات، فإذا خرجت الفكرة في صورة كتاب يقدم خطة واضحة للصراع مع الأعداء؛ ألقوا على هذا الكتاب ما يشوه صورته أمام أفراد الحركة الإسلامية، ووضعوا حوله شبهات كثيرة، فينصرف أفراد الحركة عن مجرد الاطلاع على الكتاب لكثرة ما أثير حوله، فكم من كتب جيدة فرض أفراد الحركة الإسلامية حول أنفسهم ستاراً حديدياً يمنعهم من قراءتها لهذا السبب.

وفي أحايين أخرى يستخدم الأعداء طريقة الاستبدال، فيطلقون هم أنفسهم فكرة جديدة تكون أقل ضرراً على مصالحهم من الفكرة الأصلية.

ولمواجهة هذا المكر ينبغي أن نتعلم أن نحكم على الأفكار من خلال ما فيها من برهان وحجة بعيداً عن منطق الغوغاء. كما ينبغي أن نتخلص مما في نفوسنا من ميل للنظر إلى الأشياء على أنها سهلة والذي يقودنا في كثير من الأحيان إلى نشاط أعمى. وفي مقابل محاولة الأعداء استبدال الفكرة الصحيحة والفعالة بفكرة أقل ضرراً على مصالحهم؛ لا بد من الوضوح في فكر الدعوة وأهدافها ليسهل على الأفراد التمييز بين الغث والسمين.

ولنعلم بأنه بقدر ما يتربى الشباب بطريقة جيدة، بقدر ما يستطيعون الصمود لكيد الجاهلية، على أن النجاح في الصمود لذلك الكيد هو نقطة التحول في خط سير الدعوة نحو هدفها المنشود.

ومن خطط الأعداء محاولة تثبيط العزائم وإماتة الهمم في نفوس الدعاة، فيحاولون أن يصوروا لنا الصدام معهم وكأننا ذرة تريد أن تحطم جبلاً، وإنه من العبث محاولة دفعهم فضلاً عن التغلب عليهم.

ولكن الأمر حقيقة ليس بيدهم، إنه بيد من يُقدِّر الأشياء فتسير حسب تقديره. وقوة الأعداء مهما بلغت وكيدهم مهما قوي فهو ضعيف

لأنه كيد شيطان ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: ٤٦]. ودفعه منوط بما في أنفسنا نحن من عدة الصبر والتقوى ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

- **خدعة الصدام المتعجل:**

إن هناك جهات تدربت على استدراج الدعوة الإسلامية وإثارتها لضربها في الوقت المناسب، فإذا جاء هذا الوقت ضغطت على نقاط الضعف فأثارتها وأخرجت بذلك الحركة الإسلامية عن توازنها، واستدرجت عناصرها إلى الصدام معها قبل الإعداد له وقبل وجود القاعدة الإسلامية الواعية الصلبة بالشكل المطلوب.

وعلى إثر هذا الصدام يقوم هؤلاء بضرب العمل الإسلامي ضرباً مؤلماً، أو يظهرونه في صورة الإرهابي أو السفيه الذي يجب أن يحجر عليه.

ولذلك يعتبر الاندفاع في اتجاه الصدام وفقدان الصبر على مواجهة تحديات الأعداء مظهراً من مظاهر الضعف وليس القوة. والشرع والعقل يفرضان على الدعوة الإسلامية في مثل هذه الظروف تفويت الفرصة على العدو حتى لا يحطم الحركة، مع الالتزام بالصبر والسيطرة على المشاعر والانفعالات والتفكير، والتركيز في عمل دائب لصنع القاعدة المسلمة الواعية التي تحمي الدعوة.

فليست القوة بالحماس والانفعال، بل بالسعي الدائب للوصول إلى الهدف والتخطيط لذلك، وضبط النفس أمام التحديات المختلفة التي تحاول أن تعصف بالدعوة وتنحرف بها، وذلك من خلال الضغوط التي تمارس ضدها من إثارة وتشريد وعدم استقرار.

لكن لا يعني هذا الفرار من الابتلاء إلى الاحتواء والانسحاب من الساحة واللين للأعداء، بل يعني المحافظة على الاستمرار حتى نصل إلى هدفنا بتوازن يحكم إحجامنا كما يحكم إقدامنا، فلا نستسلم لزهو البطولة الانفعالي الذي يدفع الإنسان إلى اتخاذ المواقف من خلال سياسة اللحظة السريعة لا من خلال سياسة النفس الطويل، ولا نميع مواقفنا ونستسلم في منتصف الطريق مقبلين على العروض والإغراءات وأنصاف الحلول التي تعصف بالدعوة إلى غير رجعة.

إن القوة الحقيقة هي في الصمود أمام الإغراءات والعروض وأمام التحديات العاطفية والانفعالات. إنه لا ينبغي أن نفسح المجال أمام أعدائنا ليثيروا انفعالاتنا ويجرونا إلى مواقف محسوبة عندهم لمصلحتهم أو يدفعونا إلى معارك لم نعدَّ لها العدة. فهذا هو الضعف الحقيقي، بل الصبر في مثل هذه المواقف هو مظهر القوة، الصبر على تحمل الآلام، والصبر على الإعداد الطويل للمستقبل. والإصلاح لا يتم في ليلة واحدة، والخير لا يأتي دفعة واحدة، وسنة الله في خلقه التدرج والنماء.

ومعالم الحق لا بد لها من أطوار تمهد لها. وواجب الدعاة في مثل هذه الأيام أن يقوموا بهذا التمهيد بشيء يسير، إنه مرحلة البناء والتأسيس على أسس صلبة ومتينة، وهو عمل طويل وشاق ومجهد يحتاج إلى تضحيات جسام.

- **الفرار من الابتلاء إلى الاحتواء:**

إن محاولة الحكام مع أصحاب الدعوات لا تكاد تهدأ أو تفتر، إذ يحاولون إغراءهم بشتى الوسائل لينحرفوا- ولو قليلاً- عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها، فهم لا يطلبون من الدعاة أن يتركوا قضيتهم بالكلية، وإنما يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها.

ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق؛ لأن الحكام يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سلموا في جزء فقدوا مقاومتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة سينتهي إلى تسليم الصفقة كلها. وجدير بالإشارة أن التسليم في جانب ولو ضئيل من جوانب الدعوة لكسب الحكام إلى صفها هو هزيمة نفسية بالاعتماد على أصاب السلطان في نصرة الدعوة، والله

وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون في دعوتهم[1].

ولنا أسوة حسنة في رسول الله ﷺ، إذ لم يساوم في دينه وهو في أحرج المواقف العصيبة في مكة، وهو محاصر بدعوته، وأصحابه القلائل يتخطفون ويؤذون في الله أشد الإيذاء وهم صابرون.

وقد اتخذت مساومة المشركين له في دعوته صوراً شتى، من المساومة على الدعوة كلها بأساليب الترهيب والترغيب كما ورد في كتب السيرة، إلى المساومة على جانب منها للالتقاء معه في منتصف الطريق كما قال الله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[القلم:٩].

روى ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق قال: «ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه: يظهر دين الله، ويدعو إليه. ثم شرى (زاد واشتد) الأمر بينه وبينهم (يقصد المشركين) حتى تباعدوا وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ وتذامروا فيه، وحض بعضهم بعضاً عليه. ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا: من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه....قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عقبة بن المغيرة بن

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٤٧.

الأخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. قال: فقال رسول الله ﷺ:«يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته[1].

وصورة أخرى رواها كذلك ابن إسحاق، كانت في مساومة مباشرة من المشركين لرسول الله ﷺ بعد إذ أعياهم أمره...قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش- ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده- يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون. فقالوا: يا أبا الوليد قم إليه فكلمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث علمت، من السلطة (أي المنزلة الرفيعة) في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك

(١) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج ١، ص٢٧٧.

تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ:«قل يا أبا الوليد أسمع»، قال: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً. وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا.... حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟»، قال: نعم، قال: «فاستمع مني»: قال: أفعل، قال:«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه...ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال:«قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك»[1].

وحاول المشركون فتنة الرسول ﷺ عن دينه ودعوته في صور أخرى، منها: مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وما كان عليه آباؤهم، ومنها: طلب بعض كبرائهم أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء... لذلك امتن الله على رسوله ﷺ أن ثبته على ما أوحى إليه، وعصمه من فتنة المشركين، ووقاه الركون إليهم- ولو قليلاً - ورحمه من

(١) المصدر السابق نفسه، ج١، ص٣١٣.

عاقبة هذا الركون، وهي عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً، وفقدان المعين والنصير في قوله تعالى:﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾. [الإسراء:٧٣-٧٥]. قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: «كان رسول الله ﷺ معصوماً، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في أحكام الله تعالى وشرائعه»(١).

وصورة أخرى للمساومة فيما رواه ابن إسحاق قال:«واعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة- فيما بلغني - الأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاصي بن وائل السهمي، وكانوا ذوي أسنان في قومهم. فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر. فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد قد أخذنا بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[الكافرون: ٦](٢).

وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للدعاة اليوم. إنه ليس هناك أنصاف حلول ولا التقاء في منتصف الطريق مع العلمانيين المرتدين، ولا

(١) القرطبي: أحكام القرآن، ج١٠، ص٣٠٠.
(٢) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ ج١، ص٣٨٦.

إصلاح عيوب، ولا ترقيع مناهج، «إنما هي الدعوة إلى الإسلام، إلى التوحيد الخالص الذي يتلقى تصوراته وقيمه وعقيدته وشريعته كلها من الله دون شريك، في كل نواحي الحياة، وإلا فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾»[1].

وبغير هذه المفاصلة سيقع الانحراف وتبقى المداهنة، ويبقى اللبس والترقيع. والدعوة إلى الإسلام لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة، إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والوضوح، وهذا هو طريق ومنهج الدعوة الأول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

- **المواقف إزاء قضية إقامة الحكم الإسلامي:**

ومن الملاحظ أن الموقف السليم إزاء قضية إقامة الحكم الإسلامي هو موقف وسط بين الصدام المتعجل وبين التمييع والتنازل الذي يحدث قابلية للاحتواء من قبل الأنظمة.

إن الشباب الذين تملؤهم الحماسة وتدفعهم إلى العجلة من أمرهم؛ فتفكيرهم هو وجوب الوصول إلى الحكم بالقوة، وتربية الأمة من موقع السلطة لا من موقع الدعوة؛ لأن التربية من موقع الدعوة في نظرهم أمر يطول به الزمن بسبب وقوف الأعداء بالمرصاد وتعويقهم المستمر للحركة الإسلامية.

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٩٩٣.

وقد تبين على ضوء الواقع ما حدث مثلاً في بعض البلدان الإسلامية وغيرها من أن الصدام مع السلطة قبل تكوُّن القاعدة المسلمة ذات الحجم المعقول عبث لا يجني منه العمل الإسلامي إلا الكوارث المتلاحقة التي يرتكبها الطغاة في حق المسلمين، ومن ذلك: هتك الأعراض، وتدمير المنازل والأحياء على ساكنيها، ونصب المشانق للشباب.

وهكذا فإن الصدام مع السلطة قبل وجود القاعدة المسلمة الواعية المجاهدة؛ عملية انتحارية لا طائل وراءها إلا إعطاء الأعداء حجة لقتل المسلمين وذبحهم، والسواد الأعظم من الناس غافلون عن حقيقة المعركة، وعن كون هؤلاء الطغاة إنما يعملون ما يعملون ليس إلا عداءً للإسلام ذاته وكرهاً للشريعة وولاءً للصليبية والصهيونية التي تحارب الإسلام في كل الأرض.

كما أنه واهم جداً من يظن أننا قادرون على تحقيق أهدافنا بالإقناع العقلي أو بالأساليب (الديمقراطية) أو عن طريق التسلل إلى الوظائف والمراكز المرموقة والمجالس التشريعية.

فكيف يجوز للمسلم الذي يأمره دينه بالتحاكم إلى شريعة الله وحدها دون سواها، والذي يقول له دينه إن كل حكم غير حكم الله هو حكم جاهلي لا يجوز قبوله ولا الرضى عنه، ولا المشاركة فيه، كيف يجوز له أن يشارك في المجلس الذي يشرع بغير ما أنزل الله، ويعلن بسلوكه

العملي- في كل مناسبة- أنه يرفض التحاكم إلى شريعة الله؟!

كيف يجوز له أن يشارك فيه، فضلاً على أن يقسم الولاء له، ويتعهد بالمحافظة عليه، وعلى الدستور الذي ينبثق عنه، والله سبحانه يقول: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٠]. وهؤلاء حديثهم الدائم هو مخالفة شريعة الله، والإعراض عنها، فكيف إذن يجوز القعود معهم.

وكل ما يقال من مبررات أننا نسمعهم صوت الإسلام، أننا نعلن رفضنا المستمر للتشريع بغير ما أنزل الله، أننا نتكلم من المنبر الرسمي فندعو إلى تحكيم شريعة الله... كل ذلك لا يبرر تلك المخالفة العقيدية الواضحة، كما أنه يميع القضية في نظر الجماهير، ويؤخر النضج اللازم لإقامة القاعدة المسلمة الواعية التي لا يقوم بغيرها الحكم الإسلامي.

إن من خلال منهج حركة الدعوة النبوية يتضح أن هناك مرحلتين يجب أن تتحكما في سير الدعوة، وهي: المرحلة المكية والمرحلة المدنية، لكن ليس من حيث المدة الزمنية التي استغرقتها تلكما المرحلتان في عهد النبي ﷺ وإنما من حيث طبيعة المنهج والحركة.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة التربية وغرس مفاهيم الإيمان في النفوس بأبعاده القلبية وما يترتب عليه من رسوخ القدم في الإيمان، وصدق

العزيمة، والشجاعة في الحق، والزهد في متاع الدنيا، والحرص على ما عند الله في الآخرة، وهو ما يجعل الجماعة المسلمة تحمل عبء الواقع الثقيل صابرة محتسبة. وهذه المرحلة حددتها الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾[النساء: ٧٧]، وهذا يعني الإعداد لمسيرة طويلة قد تستغرق بضعة أجيال من عمر الدعوة إعداداً شاملاً قبل أن يكتب لها التمكين في الأرض؛ لأن المقصود أن تتربى القاعدة المسلمة ذات الحجم المعقول، وهذه القاعدة لبنائها يحتاج الأمر إلى ارتياد الطريق الطويل، وهو طريق التربية والإعداد الذي تتكون بموجبه القاعدة المسلمة الواعية المجاهدة التي تسند الحكم الإسلامي حين يقوم، وتظل تسنده لكي يستمر في الوجود بعد أن يقوم.

وبعد استفراغ الجهد في التربية والإعداد، والتخطيط الاستراتيجي بعيد المدى؛ تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة تحكيم شريعة الله وإعلان الحكم الإسلامي عن طريق الجهاد في سبيل الله عملاً بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[الحج: ٣٩].

ولكن حتى تتمكن الحركة الإسلامية من الوصول إلى هذه المرحلة الحاسمة لا بد أن يشمل الإعداد الجوانب العلمية والفكرية والسلوكية والإعلامية والاقتصادية وغير ذلك مما تحتاجه الحركة في دربها الشاق الذي يأخذ وقتاً طويلاً ليس باليسير.

الخاتمة

وفي الختام نقول: إن اعتماد الحركة الإسلامية على العاطفة وحدها سواءٌ كان ذلك في تربية أفرادها أو في توجيه الخطاب إلى جمهور الأمة لن يؤدي إلى نتائج إيجابية، بل إن الاعتماد على العاطفة وحدها سوف يؤدي مع مرور الوقت إلى ضمور هذه العاطفة وتآكلها، حتى إذا أردناها لم نجدها. ولعل في تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة ما يؤكد ذلك.

فالعاطفة إذاً هي بداية الطريق وليست نهايته. فالعاطفة الإسلامية هي المنطلق الذي تنطلق منه الدعوات، ثم يتبع ذلك عملية أكثر تعقيداً وصعوبة وأكثر أهمية وخطورة، وهي مرحلة التربية والإعداد، مرحلة بلورة الفكر المنهجي للمنتمين للعمل الإسلامي بعيداً عن العشوائية والارتجال، وبعيداً عن تقديس الأشخاص أو العبودية لحزب أو جماعة... مرحلة ترشيد الشباب بخطط عملية مدروسة، ومناهج شرعية مؤصلة، تقودهم إلى فهم واع موضوعي بأصول الإسلام الكلية وقواعده العامة وضوابط شريعته، وتقدم لهم أيضاً رؤية واضحة وناضجة لواقع الأمة الإسلامية بخلفياته السياسية والاقتصادية الاجتماعية وسبيل النهوض بها.

وفي نسق منهجي متكامل تكون الأصول العقائدية ممثلة فيه بوصفها أحد بنوده الرئيسة؛ ينبغي الإحاطة والدراية بأصول أخرى تضبط سلوك الحركة وتحكم أداءها أثناء تعاملها مع الواقع وحقائق الأشياء وهي: أصول النظر والاستدلال، ومناهج البحث والاستقراء، وأساليب فقه

الواقع، والحركة الإيجابية الواعية من خلال فهم الواقع، وحدود المفاسد والمصالح المعتبرة، وأصول النظر إلى المخالف ومنهج التعامل معه، والأصول التي تحكم علاقات الجماعات الإسلامية بعضها مع بعض، والأصول التي تحكم علاقتنا مع عالم الأسباب من حولنا، والعلل الكونية التي جعلها الله ﷻ سنناً مطردة صارمة تؤدي إلى معلولاتها ومسبباتها.

على أن مشكلات الدعوة الإسلامية اليوم أنها لا تتحرك وفق استراتيجيات ثابتة محكمة تستشرف فيها آفاق المستقبل، بل لا زالت تنطلق بوحي من الخطب الحماسية والأطروحات الوعظية، ولا تتجاوزها إلى غيرها.

إن ضعف الحركة في الوقت الحاضر يرجع إلى التمزق الفكري والعبث المنهجي الذي تتخبط فيه حتى أصبحت معالم هويتنا في كثير من جوانبها لا نكاد نميزها على الإطلاق.

ولا شك في أن ذلك يعود بالأساس إلى غياب المنهج الشرعي الأصيل، وفقدان الضوابط العلمية، واضطراب المقاييس الشرعية، وهو ما أدى ويؤدي حتماً إلى خلل فكري حوّل طاقتنا إلى طاقات مبعثرة هزيلة انتهت بنا إلى الجمود والحيرة والقلق والتذبذب.

والنجاح الحقيقي الذي تشرئب له الأعناق وتتطلع له الأفئدة مستحيل بدون بذل غاية الجهد لتأصيل العقلية المسلمة تأصيلاً علمياً متكاملاً لترتفع بهمومها وتطلعاتها إلى مستوى المرحلة التي تعيشها الأمة

بخطط علمية مدروسة واستراتيجيات ثابتة ومحكمة تستشرف فيه آفاق المستقبل، من خلال ما تريد أن تعمله، وما الذي يجب عمله؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟ وعن طريق من؟ وما البدائل المتاحة؟

على أن التخطيط للدعوة يبدأ من منطلقات إستراتيجية إحكامية بعيدة المدى عن طريق القياديين من مفكري الأمة. ثم يأتي دور التنظيم لضمان تنفيذ الخطط بشكل مطلوب، إذ تكمن أهميته في تحديد مهام كل فرد وواجباته، وكذلك بيان علاقة كل فرد مع الآخرين وتحديد موقفه في خريطة الجماعة، وتوزيع المسؤوليات والصلاحيات لمستويات الأفراد المختلفة. كل ذلك من أجل إيجاد تنسيق ثري يساهم فيه كل فرد لإنجاح مسيرة العمل الإسلامي[1].

والحركة الإسلامية مطالبة بأن تجعل ذلك من أولويات البناء الذي تقوم به. ومعلوم أن هذا لن يتم في وقت قصير، بل يحتاج الأمر إلى جهود علمية كبيرة ودراسات تربوية مستفيضة تستغرق وقتاً ليس باليسير، وتتبناها مؤسسات أو مراكز إسلامية ذات طابع عام، تلتقي فيها الاختصاصات المختلفة.

وانطلاقاً من هذه الحيثيات يقتضي الاجتهاد الذي أصبح ضرورة

(١) نبيل الفيصل: أهمية مبادئ الإدارة في الدعوة، مجلة البيان، العدد٩٦، ص٣٧-٣٨.

ملحة في هذا العصر وجود علماء في الاختصاصات كلها. علماً بأن الاجتهاد الفردي في هذا العصر يكاد يكون مستحيلاً بعد هذا التوسع في تكنولوجيا المعلومات، والتبحر في الاختصاصات، والتعقيد في تركيب المجتمعات والتشابك في العلاقات الاجتماعية، والتأثر والتأثير بين الأمم، وبين جوانب الحياة المتعددة، لذلك لا يتسع عمر القرد ولا علمه- مهما بلغ من النبوغ- لهذا النوع المطلوب من الاجتهاد.

فلا مندوحة والحالة هذه من الاتجاه نحو نظام المؤسسات ومراكز البحوث والدراسات، وبناء العقل الجماعي المؤسسي الذي يمتلك نوافذ الرؤية من الجهات كلها وفي العلوم كلها، حتى يمكن تحويل هذا الدين من قيم ومبادئ ومواثيق أخلاقية وإرشادات عامة توجه مسيرة الحياة إلى برامج وأحكام تصوغ الواقع وتضع الأوعية الشرعية الصحيحة لحركته.

وأخيراً، إن انطلاق أهل السنة والجماعة لاستيعاب لغة العصر وعلومه وثقافته وامتلاك أسباب القوة المادية في مجالات العلوم جميعها ما زال فريضة شرعية غائبة قبل أن يكون واجباً عقلياً أو حتمية تاريخية.

وعلى أهل السنة قبل غيرهم أن يتوافقوا مع سنن الله الكونية ويستوعبوها استيعاباً حقيقياً بدلاً من مناطحتها وإهدار طاقتهم ووقتهم.

إن إحياء الأمة من سباتها العميق والدفع بها إلى مكانها الطبيعي في مقدمة الركب لتقود البشرية مرة أخرى بأمر من الله؛ لن يتحقق من خلال جهود أفراد أو تجمعات صغيرة أو كبيرة، وإنما يحتاج الأمر إلى جهود كل هذه التجمعات والجماعات والأفراد المخلصين لهذا الدين: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فهرس المصادر والمراجع

- البخاري (الإمام) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ).

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، إستانبول: المكتبة الإسلامية (محمد أوزمين) ١٣٤٩هـ/ ١٩٧٩م.

- بكار، عبد الكريم.

- ولن تجد لسنة الله تحويلاً، مجلة البيان العدد ٥٦، ربيع الآخر ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- ابن حجر الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي(ت ٩٧٤هـ).

- الفتاوى الحديثية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي / ١٩٧٠م.

- ابن أبي الدنيا، أبو بكر بن عبد الله بن محمد (ت٢٨١هـ).

- محاسبة النفس، مؤسسة المكتب الثقافي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- الزاوي، الطاهر أحمد.

- مختار القاموس، الرياض: دار عالم الكتاب ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- الزرقا، مصطفى أحمد.

شرح القواعد الفقهية، دمشق: دار القلم، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- سرور، محمد بن نايف بن زين العابدين.

-مناقشة شبهات المتحالفين مع العلمانيين والمرتدين، مجلة السنة، العدد٦.

• الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي (ت ٧٩٠هـ).

- الموافقات في أصول الشريعة، بيروت: دار المعرفة. والطبعة التي حققها الأستاذ عبد الله دراز.

• القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ).

- أحكام القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

• قطب، سيد.

- في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

• ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ).

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

• مسلم (الإمام)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ).

- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض: دار عالم

الكتاب ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- صحيح مسلم (بشرح النووي) بيروت: دار الفكر ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

• النجار، عبد المجيد.

- في فقه التدين فهماً وتنزيلاً، كتاب الأمة، قطر عدد ٢٢، محرم١٤١٨هـ/ ١٩٩٠م.

• ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ).

- سيرة النبيﷺ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الرياض: إدارة البحوث العلمية والإفتاء (بدون ذكر تاريخ الطبعة).

أسس الدعوة إلى اللّه

ينبغي للحركة الإسلامية أن يكون لها عقولها الواعية المدبرة، القادرة على التخطيط الواعي المنظم. ولا يمكن تنمية فقه الأولويات وفقه الموازنات من خلال منهج الفهم والاستدلال في وضع حضاري شديد التعقيد إلا إذا امتلك الدعاة رؤية شاملة، وعرفوا مواضع أقدامهم من خلال معرفة الشرع ومعرفة الواقع، ومن خلال الانفتاح على الأنشطة الحياتية المختلفة. وهذا الكتاب يسعى في بيان ذلك من خلال أسس ومعالم نعتقد أن أي حركة أو دعوة تريد أن تسير على الدرب الصحيح لا يسعها إلا أن تأخذها في الحسبان وتعمل على بلورتها في إطار خطة محكمة وشاملة.

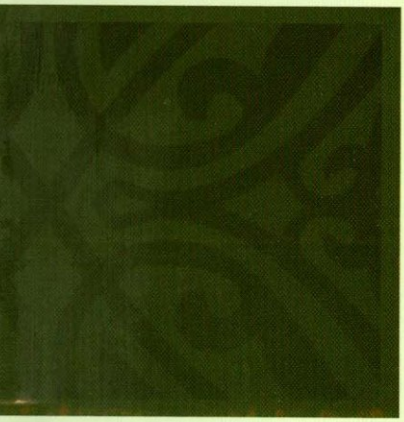

مركز البحوث والدراسات

@/albayan31

/albayanMag

مكتب مجلة البيان

ص.ب 26970 - الرياض - 11496

www.albayan.co.uk

sales@albayan.co.uk

هاتف : 0096614546868